

مختصر ابن كثير

152 - ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون .

عن ابن عباس قال لما أنزل الله : { ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن } و { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً } الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : { ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم } قال : فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم (رواه أبو داود عن ابن عباس) . وقوله تعالى : { حتى يبلغ أشده } قال الشعبي ومالك : يعني حتى يحتلم قال السدي : حتى يبلغ ثلاثين سنة وقيل : أربعون سنة . وقوله تعالى : { وأوفوا الكيل والميزان بالقسط } يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء كما توعده على تركه في قوله تعالى : { ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون } وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان وفي كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : " إنكم وليتم أمراً هلك فيه الأمم السابقة قبلكم " (إسناده ضعيف . قال الترمذي : وقد روي بإسناد صحيح عن ابن عباس) وقد رواه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم معشر الموالي قد بشركم الله بخصلتين بها هلك القرون المتقدمة : المكيال والميزان " . وقوله تبارك وتعالى : { لا نكلف نفساً إلا وسعها } أي من اجتهد في أداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد است فراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه . وقوله : { وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى } كقوله : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط } الآية يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال وقوله : { وبعهد الله أوفوا } قال ابن جرير : يقول : وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله { ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون } يقول تعالى : هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه { لعلكم تذكرون } أي تتعطون وتنتهون عما كنتم فيه